من ملفات لجنة تسجيل التاريخ :
من المسئول عن هزيمة يونيو 1967 ؟

# موسكو دفعت عبد الناصر إلى توقيع معاهدة عسكرية مع سوريا

وبعدها بدأت تصعد الموقف على الحدود السورية ـ الإسرائيلية

**جريدة مايو : 16-3-1981**

**هذه هى الحلقة الثانية عن دور الاتحاد السوفيتى فى نكسة يونيو 1967 .**
**و " مايو " تؤكد مرة أخرى أن كل ما تنشره عن النكسة هو حصيلة الإطلاع والبحث فى آلاف من الوثائق وحصيلة الاستماع إلى أقوال الشهود الأحياء ، والإطلاع على مئات من الكتب فى محاولة للاقتراب من الحقيقة .**
**ولعل هذه الحلقات الحافلة بالإجابات على التساؤلات التى آثارها هذا الحادث الجلل ، تنفرد بأنها أول بحث علمى مدروس يعبر عن وجهة النظر المصرية فى نكسة يونيو 1967 .**
**أن " مايو " تفتح للقارئ المصرى والعالمى ملفات ظلت مجموعة من الباحثين تعدها حوالى 4 سنوات . . . لا بقصد التشهير بأحد . . . ولا بهدف الآثارة . . . ولكن بمحاولة علمية لوضع الحقائق المجردة أمام الجيل الذى أهتز بالنكسة وأمام الأجيال الصاعدة .**

فى نهاية عام 1958 . . . أصبحت مصر تعتمد اعتمادا كبيرا على الاتحاد السوفيتى فى الحصول على احتياجاتها من الأسلحة والمساعدات الأقتصادية ومع ذلك لم يكن للشيوعيين المصريين داخل مصر دور فى مجال السياسة الداخلية ، وعلى العكس ومن وجهة نظر الاتحاد السوفيتى كان الشيوعيون المصريون " مضطهدين " .
وكان على " خروشوف " الزعيم السوفيتى وقتذاك أن يتخلص من هذا الارتباك السياسى المذهبى " الذى سببه اضطهاد " مصر للشيوعيين فى الوقت الذى تتلقى عون " الرأس الشيوعية الأولى " فى العالم .
وبدأ خروشوف يعتقد أن إمداد مصر بحاجتها من الأسلحة والمساعدات الاقتصادية يمكن أن يتحول إلى نفوذ سياسى قوى يقود التطورات الداخلية فى مصر لصالح إيقاف " اضطهاد الشيوعيين المصريين " وكان من رأى خروشوف أن ذلك سيدعم العلاقة المصرية السوفيتية ويقلل من خطر احتمال فصم هذه العلاقة على يد جمال عبد الناصر . فقد بدا واضحا بالنسبة للاتحاد السوفيتى أن عبد الناصر كان يناور بين القوتين العظميين من أجل الحصول على الحد الأقصى من المكاسب .

وفى هذه المرحلة من التاريخ قامت ثورة العراق فى يوليو 1958 .. وسرعان ما تلاقى الاتحاد السوفيتى مع نظام عبد الكريم قاسم فى العراق بعد أن قذف بالنفوذ البريطانى خارج حدوده وأطاح بقواعد الأساس المنطقى لحلف بغداد . . وكان موقف عبد الكريم قاسم موقف التسامح مع الشيوعيين العراقيين لأنه كان يريد أن يضرب بهم البعث العراقى . . كما كان يحمل عداء شديدا لجمال عبد الناصر . . بهذا كان طبيعيا أن يؤيد الاتحاد السوفيتى النظام العراقى الجديد ويتخذ منه حليفا يوازن به نفوذ جمال عبد الناصر فى العالم العربى ودون أن يضحى بعلاقاته بعبد الناصر فى الوقت نفسه .

ومرت فترة من الجدل العلنى بين القاهرة وموسكو .. حول موضوع الشيوعيين المصريين .. ولكن موسكو حرصت خلالها على أن توفر لمصر المساعدات المالية والفنية الكبيرة !

ومرة أخرى تلعب الأحداث دورها :

- قام عبد الكريم قاسم فى العراق " باضطهاد " الشيوعيين بقسوة عقب التمرد الدموى فى كركوك عام 1959 واتبع ذلك بحملاته المركزة ضد الأكراد عام 1961 ، مما أثار موسكو من النظام العراقى .
- أطاح الضباط الأحرار بنظام عبد الكريم قاسم فى فبراير 1963 وشكلوا نظاما جديد مؤيدا لمصر داعيا للتعامل معها فى مختلف الاتجاهات ، وفى الوقت نفسه قاموا بجهود قوية لتصفية الشيوعيين العراقيين .
- بعد أن أنفصلت سوريا عن وحدتها مع مصر عام 1961 تولى السلطة فيها نظام معاد للشيوعية .

وضح للسوفيت اذن أهمية تعاملهم مع جمال عبد الناصر وحفظ صلات الود معه .. ومن هنا أتجه السوفييت فى أوائل الستينات إلى أيجاد وسيلة جديدة لتسوية الخلافات مع نظام القاهرة الذى وضحت معالمه فى هذه الفترة : فهو نظام أساسه حزب واحد ، معاد للاستعمار ، ومتعاون مع السوفييت ، له اصلاحاته الداخلية فى المجال الاجتماعى والاقتصادى ومن شأنها التحول نحو الاتجاه الاشتراكى .

ونجح خروشوف فى نهاية حياته السياسية فى الوصول إلى نقطة اللقاء مع الأنظمة العربية فى الجزائر وفى مصر .

وفى مايو 1964 وعند زيارة خروشوف للقاهرة للاحتفال بانتهاء المرحلة الأولى من السد العالى ، تم الأفراج عن الشيوعيين المصريين مع السماح لهم بالعمل الفردى فى إطار الاتحاد الاشتراكى العربى وفى أجهزة الإعلام وأوجه النشاط المختلفة .

وكان هذا الاتجاه السوفيتى الجديد نحو العالم الثالث يحمل تفسيرا جديدا للمذهب الشيوعى : أنه من الممكن أن تتحمل أية دولة نامية ــ بدون بروليتارية الطبقة العاملة ــ أن تحمل لواء الاشتراكية المضادة للرأسمالية وعلى النظام الشيوعى معاونتها بصرف النظر عن وجود حزب شيوعى داخلها .

وذهب خروشوف !

وجاء الزعماء الذين خلفوه وقالوا : لا . . لابد من أسبقية قيام الحزب الشيوعى فى الداخل كشرط أساسى للتعاون مع موسكو . وبعد مقدم الزعماء الجدد فى الكرملين ثارت سلسلة من النكسات فى أوائل حكمهم فى

الدول ذات الصداقة والتعاون مع نظامهم : فخلال عام بعد استقالة خروشوف اضطرت مجموعة من مؤيدى سياسته فى دول العالم الثالث الى التخلى عن السلطة ومنهم احمد بن بيلا فى الجزائر ونكروما فى غانا ، وسكوكارنو فى أندونيسيا وبالنسبة لمصر فأن بريجنيف السكرتير الأول للحزب الشيوعى االسوفيتى الجديد طمأن عبد الناصر عند زيارته لموسكو عام 1965 وأكد له أن صداقة الاتحاد السوفيتى ليست نتيجة لمجهود " شخصى " ولكن وضح من نتيجة المباحثات بين عبد الناصر وبريجنيف خلاف هام : ففى الوقت الذى أكد فيه جمال عبد الناصر على ضرورة العمل المشترك " مع الاتحاد السوفيتى " أكد بريجنيف ، وحدة القوى اليسارية فى العالم الثالث .

واتجه الزعماء السوفييت الجدد للتقارب مع حزب البعث الحاكم فى سوريا ، وقد تم الالتقاء بين موسكو ودمشق لرغبة هذا الحزب " البعث " فى دعم نفوذه الداخلى بجذب المعونات الاقتصادية السوفيتية لمواجهة مطالب جماهيره فى الداخل . واستخدم البعث السورى شعار امكانية التعاون مع الشيوعيين السوريين كوسيلة جذب سياسى للاتحاد السوفيتى . واستجاب السوفييت لذلك وهم يرون سوء الأحوال الداخلية فى سوريا إلى حد إمكانية حدوث التغيير لصالح النظام الشيوعى .

ومن المهم هنا .. أن نشير إلى دور الاتحاد السوفيتى فى تسليح منطقة الشرق الأوسط:

ولعل إمداد الاتحاد السوفيتى للشرق الأوسط بالأسلحة كان عاملا تجاريا بحتا مماثلا لعمليات بيع الأسلحة الغربية لدول الشرق الأوسط التى تدور فى فلك النظام الغربى بوضوح معلن لكن الاتحاد السوفيتى كان ــ على خلاف الدول الغربية ــ يقبل العملة المحلية بدلا من العملة الصعبة وبالتالى يستخدم نفس هذه العملة فى شراء المنتجات الأولية المحلية .. بالإضافة إلى أنه كان يعقد اتفاقيات دفع مرنة بقروض طويلة الأجل بسعر فائدة مخفضة . وهذا يدل على أن سياسة تصدير الأسلحة السوفيتية إلى منطقة الشرق الأوسط كانت تهدف إلى ربط الدول العربية المستوردة للسلاح بالاتحاد السوفيتى برباط متين ، على حين تتركهم من الناحية الرسمية غير منحازين له .

ولكن الأمر كان له وجه آخر :

بجانب الكرم فى أرسال الأسلحة كان التقصير فى أرسال قطع الغيار والذخائر ولوازم استخدام وصيانة الأسلحة والمعدات ! وبدا واضحا فى تخطيط السياسة السوفيتية أنها تحتفظ فى يديها بزمام الاستخدام من الناحية العملية ــ للسلاح كوسيلة لتشديد قبضتها على زبائنها إذا احتاج الأمر ذلك . وهذا نفسه يقال على عمليات التدريب المحدودة التى كان يتلقاها العرب على استخدام وصيانة المعدات السوفيتية قبل يونيو 1967 .

وقد استغلت إسرائيل هذا الموقف بمهارة .. فبدأت تبالغ فى مدى تسليح الدول العربية من الاتحاد السوفيتى .. وساعدها العرب فى ذلك .. بل عرضوا هذه الأسلحة كاملة فى عروضهم العسكرية خلال المناسبات .. وكانت إسرائيل تهدف بهذه المبالغة إلى الحصول على احتياجات مقابلة من الجانب الغربى .

الاتحاد السوفيتى وإسرائيل

اتخذ الاتحاد السوفيتى موقفا مؤيدا للعرب تجاه القضية الفلسطينية ، ومن الناحية ارى لم يكن يسمح بالقضاء على إسرائيل بل كان يراعى عدم الاندفاع فى مهاجمتها !

كانت موسكو تنظر إلى الصراع العربى الإسرائيلى على أنه نزاع إقليمى يمكن حله بالمعايشة السلمية عندما تنفصل إسرائيل عن التبعية الاستعمارية .. وكان هذا يعنى بقاء دولة إسرائيل فى حدود عام 1949 طبقا لقرار الأمم المتحدة وفى نوفمبر 1965 زار موسكو جناحا الحزب الشيوعى الإسرائيلى وأحدهما يهودى والآخر عربى لمناقشة هذا الموضوع وانتهى الرأى إلى أن الأزمة ما زالت داخلية وفى حدود التصور السوفيتى المعلن .

وبعد 6 شهور .. لعبت الأحداث لعبتها مرة أخرى .. وحدث تراجع فى الموقف السوفيتى !

حدث انقلاب بعثى يسارى فى دمشق .. ودعت المملكة العربية السعودية إلى حلف اسلامى ، وكان لابد أن يتحرك الاتحاد السوفيتى الى موقف أكثر وضوحا ضد إسرائيل وذلك لتدعيم الحشد العربى التقدمى المتألف مع السياسة السوفيتية . وفى المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى خلال شهر إبريل 1966 بدا بوضوح التأييد السوفيتى للموقف العربى ، وللفدائيين العرب ومنظمة التحرير الفلسطينية على شكل بيانات مشتركة .. بدون منهج محدد فيما يتصل بالحد الذى كان الاتحاد السوفيتى مستعدا للذهاب إليه فى تأييده للموقف العربى .

والواقع أن إسرائيل لم تكن مستعدة للموافقة على النداء الذى كان يردده أحمد الشقيرى رئيس منظمة تحرير فلسطين ( مايو 1967 ) حول عزم العرب على إلقاء إسرائيل فى البحر وهو أمر عارضته موسكو فى أكثر من مناسبة .

ونعود إلى الانقلاب البعثى اليسارى فى دمشق فى فبراير 1966 .. فقد سارع هذا النظام الجديد فى دمشق وبسط كلتا يديه لموسكو يخطب ودها فى محاولة لأقرار شرعيته فى الداخل والخارج .. وأمسكت موسكو بالأيدى الممدوة فى ترحيب .

وواجهت حكومة البعث الجديدة فى دمشق . العديد من الصعاب والمشاكل : كانت تفتقر إلى التأييد الشعبى فى داخل سوريا والمحيط العربى .. كانت أمامها مهمة صعبة فى الفقر الذى يعانيه الشعب السورى الذى لا يؤيدها !

ورفع النظام البعثى الجديد شعار الكفاح ضد إسرائيل .. وأعلن أن سوريا هى رأس الحربة للقضية العربية ! كان الهدف هو أشغال الشعب السورى فى قضية وطنية تتطلب تجميع القوى خلف النظام الجديد .. وفى نفس الوقت رفعوا شعار النضال ضد الدول العربية الموصوفة بالرجعية . المملكة الأردنية الهاشمية

والمملكة العربية السعودية متهمين الأثنتين بالمشاركة فى مؤامرة استعمارية صهيونية للأطاحة بنظامهم الثورى التقدمى فى دمشق !

ودعا النظام السورى دعوته للنضال .. ثم قام بالقصف المدفعى ــ من مواقعه الحصينة من أعلى الجولان ــ على المستعمرات الإسرائيلية المتاخمة .. وتبنى النشاط الفدائى المتسلل إلى أراضى إسرائيل . كل ذلك والعناق ما زال حارا بين النظام البعثى الجديد فى دمشق والقادة السوفيت فى الكرملين ! وسلوك الزعامة السوفيتية خلال سنة التوتر المتصاعد على الحدود السورية الإسرائيلية والذى سبق حرب يونيو 1967 جرى تفسيره بتفسيرات مختلفة .

- قال بعض المراقبين ان الاتحاد السوفيتى قد شجع عن عمد زيادة حدة التوتر ووافق على تصعيده لدرجة أشعال الحرب .
- وفسر أخرون نفس هذا السلوك السوفيتى بأنه لم يكن عن تقدير خاطىء للموقف بقدر ما كان انعداما للمسئولية على مستوى ضخم .
- وأيا كان الرأى فالواقع يقول : أن السوفييت لم يحاولوا ــ بصفة علنية على الأقل ــ كبح جماح سوريا واستفزازات قادتها من أجل تصعيد الموقف على الحدود .
- على العكس .. زاد الاتحاد السوفيتى من تأييده للنظام الحاكم فى سوريا ضد إسرائيل وبدأ يروج نفس القول السورى بأن حكومة دمشق تتعرض لمؤامرة استعمارية للإطاحة بها وأن إسرائيل هى الأداة الرئيسية لهذه المؤامرة ، لهذا فقد أعلن الاتحاد السوفيتى تحذيرا لإسرائيل بإلا تسمح لنفسها بأن تكون أداة للأستعماريين وأصحاب الاحتكارات البترولية للضرب والاطاحة بالنظام اليسارى الجديد فى دمشق ( بيان رسمى فى 27 مايو 1966 )

احجمت السياسة السوفيتية أذن عن كبح جماح حليفتها الجدية دمشق .ز حتى لا تثير التكهنات فى الأوساط المعادية للاتحاد السوفيتى حول عجزه عن التحرك الإيجابى فى منطقه قريبة من حدوده .

لكن الاتحاد السوفيتى كان يلعب لعبة أخرى سرية : أحال كبح جماح سوريا إلى غيره للقيام به حتى لا يتهم هو بذلك ، ومن هنا نجد التفسير الواضح لضغط السياسة السوفيتية على قيام نوع من التحالف المصرى السورى !

وقد ذهب بعض المعلقين إلى أن ذلك أصبح هدفا للسياسة السوفيتية اعتبارا من ربيع عام 1966 . ومما يؤكد هذا الرأى زيارة كوسيجين للقاهرة فى مايو 1966 وفى هذه الزيارة حث كوسيجين الرئيس جمال عبد الناصر على تحسين علاقاته مع سوريا ، وفعلا أسفرت هذه الزيارة عن توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا فى نوفمبر 1966 .

ويرى البعض أن هدف الاتحاد السوفيتى من التقارب المصرى السورى كان تخليص سوريا من عداء الدول العربية ووضع مصر بإمكانياتها فى مواجهة باقى الدول العربية المضادة للنظام السورى وفى الوقت نفسه

يوجد ردع مناسب من وجهة نظر السياسة السوفيتية ــ لأية محاولات إسرائيلية تهدف إلى اسقاط النظام الحاكم فى دمشق وليعطى الفرصة للولايات المتحدة الأمريكية لاعادة حسابتها السياسية الأمر الذى قد يقودها إلى الضغط على إسرائيل لصالح تخفيف حدة التوتر فى الشرق الأوسط . والذى اصبح متركزا فى الموقف على الحدود السورية الإسرائيلية .

والتقدير السوفيتى رسم كل هذا استنادا إلى موقف جمال عبد الناصر فى السنوات السابقة مباشرة ، حيث استطاع أن يخفف من حدة التوتر العربى المتشدد تجاه إسرائيل من خلال مؤتمرات القمة العربية عام 1964 وتصريحه فى 9 يوليو 1965 إلى أذاعة كولمبيا بعدم التعجيل بالتحدى العسكرى العربى لإسرائيل .

على أن التقدير السوفيتى للموقف كان خاطئا :

- فتوقيع اتفاقية الدفاعا المشترك بين مصر وسوريا شجع السوريين على الاستمرار فى تصعيد الموقف العسكرى على حدودهم مع إسرائيل ودفع إسرائيل فى الوقت نفسه لاختبار مدى فاعلية هذه الاتفاقية التى وقعت فى 4 نوفمبر 1966 فقامت إسرائيل باعتدائها على قرية السموع الأردنية فى 13 نوفمبر 1966 كتحذير لسوريا والأردن فى وقت واحد ، ومن هنا نجد أن معاهدة الدفاع المشترك بين مصر وسوريا زادت الموقف اشتعالا .

وهناك تساؤلات تفرض نفسها فى هذه المرحلة :

- ألم يضع الاتحاد السوفيتى عند تخطيط سياسته فى هذه المرحلة ــ التكوين الشخصى والنفسى للرئيس جمال عبد الناصر موضع الحسبان ؟ بمعنى أوضح هل لم يضع الاتحاد السوفيتى فى حساباته السياسية رد الفعل المنتظر من عبد الناصر بناء على دراسة الاتحاد السوفيتى لشخصيته ؟
- أن الاتحاد السوفيتى كانت له معاملة عميقة وطويلة مع عبد الناصر ولعله يعلم جيدا حدود التصرف المنتظر منه كرد فعل للمواقف السياسية التى تمر بها بلاده وشخصه .. فهل أقدم الاتحاد السوفيتى على هذه الخطوات ليقوم عبد الناصر بكبح جماح سوريا . . أم لصالح قيامه بدور آخر يتم التخطيط له فى موسكو ؟ دور يضعه هو فى الصورة واضحا .. بينما غيره يقبع فى الظل يحرك خيوط اللعبة الدموية ! ربما يكشف المستقبل عن الإجابات الصحيحة لهذه التساؤلات .
- ربما كان هجوم السابع من إبريل عام 1967 وإسقاط إسرائيل 6 طائرات سورية طراز ميج 21 جعل الزعماء السوفييت يقفون لمراجعة حساباتهم السياسية ، فمع هذا التصاعد العنيف فى الموقف أحسوا بالأخطاء ــ سواء فى تأييد سوريا أو فى كبح جماحها .. ومن هذا المنطلق وجه الاتحاد السوفيتى تحذيرا إلى إسرائيل فى 21 إبريل 1967.

وفى أوائل مايو قامت فى سوريا أزمة داخلية حادة بسبب نشر مقال فى مجلة الجيش السورى وصف بأنه معاد للدين ومبادئه .. وظهرت بعض القلاقل الداخلية صورتها أجهزة الحكم السورى على أنها مؤامرة استعمارية للإطاحة بالنظام السورى .. وضخمت أجهزة الدعاية السوفيتية فى أنباء هذه المؤامرة على

سوريا .. وفى الوقت نفسه قامت سوريا بتصدير جزء من أزمتها الداخلية إلى الحدود على صورة تصعيد للاشتباكات على حدود إسرائيل وذلك لتوجيه الرأى العام السورى صوب الموقف على الحدود لينصرف عن الاهتمام بمتابعة أوضاعه الداخلية .

ولكن ماذا كان دور السوفييت هنا ؟

نشرت الصحف العالمية فى أوائل مايو 1967 أن الاتحاد السوفيتى تعرض لنكسات : مصرع رجل الفضاء كوماروف . والتجاء ابنة ستالين للولايات المتحدة الأمريكية . والغارات الأمريكية على المطارات والأهداف المدنية فى فيتنام الشمالية والتى تعتبر نوعا من التحدى لمدى فاعلية القوة السوفيتية فى مساندة حلفائها .

ومن هنا قد نستطيع أن نصل إلى نقطة اللقاء السوفيتية السورية التى تدفع بهما معا إلى طريق واحد كل منهما يريد أن يدعم مكانته فى الداخل يعمل ما فى الخارج يجذب الأنظار إلى خارج الحدود تجاه قضية هامة ومثيرة فى الوقت نفسه .

تصور اللاعبون ــ كبيرهم وصغيرهم ــ أن الموقف السياسى فى الشرق الأوسط يمكن أن يحقق كل ذلك .. وحتى تؤتى اللعبة ثمارها المرجوة كان لابد من إشراك مصر وزعيمها القوى جمال عبد الناصر بهدف تأدية دوره .. ومن أجل توفير الحماية لسوريا وضمان إمكانية الردع لإسرائيل .

إن المؤرخين يتصورون أن السياسة السوفيتية رسمت وبدقة دورا معينا يؤديه جمال عبد الناصر فى إطار اللعبة الجماعية ولصالح الأهداف السوفيتية السورية .. وهنا تبرز التساؤلات الضخمة :

- هل كان الاتحاد السوفيتى يضمن أن يلعب عبد الناصر لصالح غيره ؟

وعندما يذيع الاتحاد السوفيتى أنباء الحشود الإسرائيلية على الحدود السورية ــ بالطريق المباشر وغير المباشر ــ ويحذر جمال عبد الناصر من عزم إسرائيل على مهاجمة سوريا .. ألم يكن ذلك يعنى تأييد الاتحاد السوفيتى له ومؤازرته فى خطواته التالية ؟ وسواء أوصى الاتحاد السوفيتى بتحرك القوات المصرية إلى سيناء أو لم يوصى بذلك ز فأن حشد القوات المصرية فى سيناء اعتبارا من يوم 14 مايو حاز موافقة الاتحاد السوفيتى كأجراء تكتيكى يؤكد التضامن العربى فى إطار التعاون السوفيتى .

لقد دفع الاتحاد السوفيتى بالموقف إلى حافة الهاوية .. فأذا كان قد أوصى ، أو أوحى بتحرك القوات المصرية إلى الحدود لتأمين سوريا .. ألم يضع فى اعتباره مدى ما قد يؤدى إليه هذا الموقف من خطورة تورط جمال عبد الناصر فى حرب مع إسرائيل .. والاتحاد السوفيتى يعلم جيدا حقيقة موقف القوات المسلحة المصرية آنذاك ؟

المرجح أن التاريخ لن يبرئ الاتحاد السوفيتى من مسئوليته فى تصفية الموقف ودفعه إلى حافة الهاوية لصالح سياسته وأهدافه فى منطقة الشرق الأوسط .